حرب غزة.. ماذا وراء استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق؟

شربل الغريب
كاتب ومحلل سياسي

على رغم ما أحدثه «جيش» الاحتلال الإسرائيلي على مدار ستة أشهر من قتل وتدمير وإبادة جماعية بحق الفلسطينيين، وارتفاع تكلفة الحرب في قطاع غزة، فإن الناظر بعين ثاقبة إلى المشهد يدرك تماماً أن فشل «إسرائيل» هو عنوان لهذه الحرب المستمرة، في وقت باتت تعيش عزلة دولية غير مسبوقة، وساء وضعها من كل زاوية وجانب، إذ تشهد انهياراً دبلوماسياً وضائقة اقتصادية وتعقيداً أمنياً وانقسامات اجتماعية وسياسية كبيرة.

من الجدير هنا التوقف عند كثير من التصريحات الناقدة لاستمرار الحرب، والتي تؤكد حقيقة سوداوية المشهد في «إسرائيل»، فلقد شخّص ضابط كبير في «جيش» الاحتلال مؤخراً، في تصريحات حديثة له، حال «إسرائيل» بعد ١٨٠ يوماً من الحرب، فقال: «نحن نعيش حالاً سيئة جداً، ونعيش مصيبة كبيرة عسكرياً واجتماعياً، ولا نستطيع تحمل العبء وحدنا، فنحن في خطر وجودي حقيقي».

زيادة حدة المواجهة في الجبهة الشمالية مع حزب الله، وإصراره على الاستمرار والمشاركة في معركة طوفان الأقصى وتشكيله جبهة إسناد مهمة، ورفضه كل الحلول الوسط من دون توقف شامل وكامل للعدوان على قطاع غزة، شكلت كلها حال تخبط وإرباك كبيرين لدى قادة الاحتلال الإسرائيلي، وزادت في ارتفاع منسوب سيناريو نشوب حرب مفتوحة لا تستطيع «إسرائيل» تحمل تبعاتها، وتعجز عن خوضها منفردة، في وقت باتت متعثرة في غزة، وغارقة في وحلها، بعد أن ظنت أنها، عبر تحالف الغرب معها، سوف تحقق إنجازات وأهداف وهمية.

لجوء «إسرائيل» إلى قصف القنصلية الإيرانية في دمشق واغتيال قيادات إيرانية رفيعة المستوى، قبل أيام قليلة، ليس بعيداً عما يدور في الجبهتين الشمالية والجنوبية، وتكمن وراءه أهداف كامنة تقف وراءها «إسرائيل»، وتحديداً نتنياهو.

نتنياهو شخصية ماكرة، مراوغة، مخادعة وغادرة في الوقت نفسه. يستطيع أن يحرق الأخضر واليابس ليبقى ضامناً كرسي الحكم في «إسرائيل»، حتى لو كان الهدف إلحاق الضرر بأكبر حليف له، كأميركا. وما إقدامه على استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق، واغتياله شخصيات إيرانية بارزة، إلا محاولة مكشوفة هدفها خلط الأوراق لتوسيع دائرة الحرب أكثر، بعد فشله الذريع في قطاع غزة، وفشله الآخر في إطفاء نار الجبهة الشمالية مع حزب الله.

والهدف هو توريط أميركا في حرب كبيرة واسعة في المنطقة، وجلب بايدن إلى الحلبة ذاتها التي يصارع ويتعثر فيها منذ عدة أشهر، تضمن على الأقل إنقاذ رأسه من السقوط المحتّم الذي يعلمه وينتظره.

موازين القوى في المنطقة تغيرت وباتت أكبر من نتنياهو وحساباته الشخصية ومن يلتف حوله في ائتلافه اليميني المتشدد. وكل عوامل الهزيمة له باتت بارزة على السطح، سواء استمر وحده في حرب الجبهتين، أو نجح في توريط بايدن معه، ويوم يواصل عدوانه على الفلسطينيين يزيد في هزيمته، عسكرياً وأخلاقياً.

تاريخياً، قامت أميركا بعدة حروب بالوكالة، وكلها كانت تصب في مصلحة «إسرائيل»، في الدرجة الأولى، لكن الحسابات الأميركية هذه المرة تتباين، ولن يكون في مقدورها الانجرار إلى حرب لا تريد التورط فيها مباشرةً، فهي متورطة في حرب أوكرانيا وعينها في الوقت نفسه على الصين، التي تعدّها الخطر الأكبر على مصالحها في المنطقة، وبالتالي ستحرص على حل الصفقة مع إيران كأولوية بدلاً من الانجرار وراء ما خططه نتنياهو في هذا التوقيت.

من يراقب المشهد بعد عملية اغتيال الشخصيات الإيرانية في قنصلية إيران في دمشق، وأمام ارتفاع حدة التهديدات الإيرانية بالانتقام والرد على جريمة الاغتيال التي حدثت، يصل إلى نتيجة، مفادها أن سلوك أميركا يشي بأنها تسابق الزمن لمنع التصعيد في المنطقة أكثر، وهي من يدير عملية تفاوضية مع كل الأطراف، وتضغط بقوة للوصول إلى صفقة وقف إطلاق نار، وباتت معنية أكثر بإنهاء كل الحرب، وتعمل على حل يضمن إطفاء النار التي أشعلها نتنياهو في المنطقة، فهي تتباين حساباتها كثيراً. هذا وأن العدوان على غزة بدأ يتفكك، وكثير من الجهات الدولية تزيد في مساعداتها قطاع غزة، وأخرى ترفض بيع «إسرائيل» السلاح، وأخرى استأنفت دعمها المالي للأونروا.

أما نتنياهو فيقود «إسرائيل» الى مستقبل أسود وصراعات غير محمودة، في وقت تطغى خياراته الشخصية على المشهد. ورفضه وقف الحرب على غزة، بصورة كاملة، سيزيد في عزلة «إسرائيل» الدولية، وسيفعّل خيارات الملاحقة القضائية لـ«إسرائيل» وقادتها في كثير من المحافل، في وقت باتت تتحدى كل القرارات الأممية.

وستأتي اللحظة التي ينكشف فيها الغطاء الدولي، شيئاً فشيئاً، وستصبح بلا حماية من مجلس الأمن، إذ إن القرار الأخير، والذي صدر بشأن وقف إطلاق النار، شكل صدمة وإرباكاً لنتنياهو، وانتقده بصورة لاذعة. أما الصراع بين «إسرائيل» وواشنطن فلم يعد سراً، ويصعب إخفاؤه بعد أن طفا على السطح جراء ارتكابه جريمة بحق مجموعة من العاملين الأجانب يعملون في مؤسسة المطبخ المركزي العالمي في قطاع غزة، ناهيك بأثر نتائج استطلاعات الرأي الأخيرة، والتي صدرت في ست ولايات أميركية، وكشفت أنها ستصوت ضد الرئيس بايدن في الانتخابات الرئاسية المقبلة. وهذا يعني أن خسارة كبيرة في انتظاره بسبب دعمه العسكري للحرب على غزة، بالإضافة إلى جملة من التقارير الأمنية، التي كُشف عنها في أوروبا مؤخراً، والتي تشير إلى انقلاب الرأي العام، أوروبياً ودولياً، ضد «إسرائيل».

بات واضحاً أن بايدن، بعد كل هذه التطورات، بدأ ينزل عن الشجرة، وما إرسال رئيس استخباراته إلى المنطقة، وإدارة المفاوضات مع حركة حماس في القاهرة، سوى مؤشر كبير على أن إدارة بايدن لم تعد ترغب باستمرار الحرب

بات واضحاً أن بايدن، بعد كل هذه التطورات والأحداث المتلاحقة وغيرها، بدأ ينزل عن الشجرة، وما إرسال رئيس استخباراته إلى المنطقة، وإدارة المفاوضات مع حركة حماس في القاهرة، سوى مؤشر كبير على أن إدارة بايدن لم تعد ترغب في استمرار الحرب، وأن المنطقة باتت ملتهبة، وقد تتوسع في أيّ لحظة إذا لم يتم احتواؤها.

التحليل الإخباري

«إسرائيل» تترقب «الرد الحتمي» وتوحي بارتداع إيراني سببه واشنطن!

خليل نصر الله
كاتب ومحلل سياسي

عند تنفيذ عدوانها ضد القنصلية الإيرانية في دمشق، اتّخذت «تل أبيب» إجراءات غير عادية، خصوصًا مع تصريحات سريعة أدلى بها الإمام السيد علي خامنئي أشار فيها إلى رد حتمي ومباشر على أيدي «مجاهدينا»، كما عبّر. ومنذ اللحظات الأولى، تبين أن خطأ في التقدير قد ارتكبته «تل أبيب»، وعليه بدأت «الماكينة» الأميركية العمل عبر تواصل غير مباشر مع طهران لتجنيب «إسرائيل» الضربة.

لم يتبدل مشهد الأنباء الواردة من طهران، ثمة رد آت، وتوقيته وهدفه وكيفيته تحدد في العاصمة الإيرانية التي تعرضت لضربة مباشرة. لكن الأبرز هو حرب الأعصاب التي يسرع بها الإيرانيون، وهي التي يمكن تبيانها من تخبط لدى قادة الكيان، الذين سارعوا إلى طمأنة الجمهور، إما بالتخفيف من حجم الرد، أو بإطلاق وعيد برد على الرد وفي المنطقة التي قد ينطلق منها في إشارة إلى الأراضي الإيرانية، حيث تشير التوقعات كافة إلى ذلك.

الأميركيون بدورهم، وعبر مختلف أركان الإدارة الحالية، وعلى رأسهم «جو بايدن»، اكدوا على ما يسمونه «دعم أمن إسرائيل» في مواجهة التهديدات الإيرانية و»ووكلاء إيران»، كما يعبرون، وهو ما يبين عن تغطية ولو غير مباشرة على ما قامت به «تل أبيب»، الذي لم يلق إدانة أميركية. ومع تقدم الوقت، يلحظ زيادة مساحة الارتباك داخل الكيان. مستوطنون أصيبوا بهلع، وقادة مرتبكون، وصل الحد بهم إلى القول إننا لم نعلن عن قصف القنصلية الإيرانية، كما قال وزير الخارجية، وهو تصريح ينم عن اعتراف بخطأ بالتقدير قد ارتكب.

لكن الأكثر استغرابًا، هو ذهاب صحف إسرائيلية، وهي خاضعة للرقابة، وبعضها تزوده الاستخبارات بما يجب قوله، إلى القول: «إن إيران أجلت هجوما ضدّ «اسرائيل» في اللحظة الأخيرة بسبب التحذيرات الأميركية لكنّه لا يزال متوقعًا».

وما ذكرته يديعوت أحرونوت يبين عدة أمور:

- محاولة طمأنة المستوطنين الذين ارتعبوا منذ اللحظات الأولى للتصريحات الإيرانية حول حتمية الرد.
- محاولة هز الثقة بين شعوب المنطقة والجمهورية الإسلامية الإيرانية الداعمة للمقاومة، وهو اسلوب اعتمد على مدى سنوات.
- إظهار طهران مترددّة في تنفيذ ما تريد، ما يعني أنها مردوعة عن الذهاب بعيدًا.
- إظهار الأميركي عامل ردع أساسيًّا في مواجهة طهران.

صحيح أن «يديعوت أحرونوت» قالت إن ذلك لا ينفي احتمالات الرد الإيراني، لكن الأصح أن الرواية التي قدمتها فاقدة لعناصر المصداقية، خصوصًا أن واشنطن نفسها تعرضت قواعدها لضربات عام ٢٠٢٠ ولم تحرك ساكنًا. والأهم، أن حسابات الرد تخضع لموازين قوى، تشير الدلائل إلى أنها لا تميل لمصلحة الأميركيين الذين يتخبطون في مواجهة صنعاء وحدها، فكيف إذا ما توسعت المواجهة؟ عليه، فإن الرد المرتقب، ليس من المنطقي القول إنه احتمال، إنما هو حتمي، وقرار توقيته بيد طهران وحدها.

الطريق الصهيوني المسدود

إيهاب شوقي
كاتب ومحلل سياسي

زوال الكيان الصهيوني وتحرير فلسطين من النهر إلى البحر؛ هي قناعة راسخة عند جميع الأحرار والمؤمنين بالمقاومة وخيارها وجدواها، بعكس معسكر المتخاذلين والانهزاميين ومن أعمتهم أحقادهم وفضّلوا الاعتراف بالعدو والتواطؤ معه. وهذا الزوال ليس مجرد أمل أو شعار أو هدف بعيد المدى، وإنما قناعة وإيمان راسخ وهدف استراتيجي للمقاومة ومحورها، ويجري العمل عليه بخطوات ثابتة ومسار تصاعدي. وممّا لا شك فيه أن الحرب الدائرة حاليًا وتداعياتها وتطوراتها تزيد معسكر المقاومة إيمانًا وثباتًا، بالرغم من كلّ التضحيات، بأن هذا الكيان الصهيوني يسير نحو حتفه، وأن طريقه الاستراتيجي مسدود، سواء تراجع ليفقد ردعه، أم اختار التصعيد والحرب الشاملة ليفقد أمنه ومقومات دولته المزعومة. وفي هذا السياق؛ لا بد من إلقاء الضوء على عدد من المقومات الرئيسة لأي دولة لنعرف مدى تراجع قوة الكيان واقتراب سقوطه:

مقومات الدولة داخليًا

تقوم أي دولة، وفقًا لتعريفات العلوم السياسية، على شعب وإقليم جغرافي وحكومة وسيادة. وهذه العناصر لا يتمتع بها الكيان الصهيوني منذ نشأته بشكل سليم، ومع مرور الزمن تضعضعت هذه الأركان حتّى قبل «طوفان الأقصى». وما وجدناه من انقسامات حادة في المجتمع الصهيوني، سيما الانقسامات العمودية بين المستوطنين والحكومة حادة وخروجها للعلن بعد قانون الإصلاح القضائي، وبعد نشوب الحرب الراهنة، وتزايدت الانقسامات بشكل أفقي بين مكونات الحكومة ذاتها والسلطات السيادية داخل الكيان.

حاليًا لا يوجد تجانس بين المجتمع المنقسم بمينيًا نحو التطرّف والمطالبة بابتلاع الأقصى والضفّة والإيغال في دماء الفلسطينيين، وبين قطاعات تطالب بالواقعية واستمرار الكيان وإعطاء الفلسطينيين فتاتا من حقوقهم ضمانة لاستمرار وجود الكيان في ما يُعرف باليسار. كما لا يوجد تجانس بين اليهود الشرقيين «السفارديم» ويهود الغرب «الاشكناز»، فلا تجانس بين المتطرّفين «الحريديم» والعلمانيين، بل وصل الشقاق أيضًا بين الإشكناز ويهود الحبشة «الفلاشا».. وكلها قنابل موقوتة أدت إلى أزمات سياسية عرقلت الانتخابات والتشكيلات الحكومية المستقرة، وجلبت اليمين المتطرّف إلى السلطة بممارساته التي أفقدت الكيان كلّ دعاويه الديمقراطية ومزاعمه التي حاول بها التلاعب بالرأي العام العالمي. وعلى مستوى الإقليم الجغرافي، فهو كيان بلا حدود يحاول التوسيع بحكم الاحتلال والأمر الواقع، وهي مشكلة أمنية مستدامة لن يجد لها حلاً طالما هناك مقاومة.

وعلى مستوى الحكومة؛ ليس هناك أي مستقبل لحكومة فاشلة فاسدة تتلاعب بالقضاء لحماية رئيسها، ويحكمها متطرّفون ولا تحظى بإجماع وتوافق مجتمعي. أما السيادة؛ فالكيان هو كيان وظيفي يخضع لحماية أميركا ويعمل لمصالحها وسيادته الداخلية منقوصة بخضوع قراراته لفئة من المتطرفين تسيطر على قرارات الحكومة، كما أن وجود المقاومة يشكّل تهديدًا وجوديًا لهذه السيادة.

مقومات الدولة خارجيًا

للدول المستقلة والفاعلة مقومات سيادية تحدد سياساتها الخارجية، بينما للكيان الصهيوني سياسة تابعة للاستعمار وتنبع من مصالح الولايات المتحدة ومصالح الحكومة الصهيونية الداخلية. وقد لخص وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر الأمر بمقولته الشهيرة «ليست لـ«إسرائيل» سياسة خارجية، وإنما سياسة داخلية فقط». وهذه السياسة النابعة من بنيته ككيان وظيفي تجعله في مهب الريح، حيث يرتبط وجوده ببقاء الهيمنة الأميركية وهي عرضة للزوال، كما يرتبط باستقراره الداخلي وهو في أشد حالات تراجعه، كما يرتبط الكيان ككل بصمود المقاومة وسعيها الدائم والدؤوب نحو التحرير.

وهنا؛ نحن أمام لحظة مفصلية، فلو تراجع الكيان ورضخ لوقف إطلاق النار، فهو انتصار صريح ومؤكد للمقاومة ومحورها. وهو عصر جديد من التوازنات يحاصر الكيان، ويعمل على انحساره وذوبانه التدريجي، بفعل تراجع الردع وتفاعل الانقسامات الداخلية وانفجارها المؤجل. أما لو رفض الكيان وسعى نحو المواجهة الشاملة، فسيفقد أمنه الداخلي وسيتعرض لتدمير مؤسساته الحيوية وهجرة مستوطنيه وما لتداعيات المواجهة من انزلاقات كبرى. لذا يمكن القول باختصار ويقين بحتي إن صمود المقاومة سيدفع بالكيان نحو الطريق المسدود والنصر صبر ساعة.